وختم الدعوة والنبوة بخير مرسل إلى البرية
محمد ذي الشرف الأثيل صلى عليه الله من رسول
وآله وصحبه الأعلام ما انصدع الفجر عن الإظلام

الحمد لغة الوصف بجميل اختياري أو قديم على جهة التعظيم فالوصف جنس والمراد به الذكر اللساني ومن عممه فيه وفي النفساني ليدخل حمد الله نفسه وبعض عبيده لزمه كون حادث الذكر النفساني بالجميل حمدا والمخصص يقول المعرَّف اللغوي وهو خاص باللسان وإطلاق الحمد على غيره إنما هو باعتبار ترجمته أعني ما يعبر به عنه وقولنا بجميل أي حسن شامل للفضائل والفواضل وهو فصل خرج به الوصف بغير الجميل وقولنا اختياري يعني ما فيه اختيار ولو بتوجه ما فتدخل فيه الصفات الغريزية المحمودة كالشجاعة والكرم وهو فصل ثان خرج به الأوصاف الجميلة غير الاختيارية كحمرة الخدود ورشاقة القد أي حسنه وسائر أوصاف من ليس شأنه الاختيار وقولنا أو قديم شامل لأوصاف الله سبحانه كلها إذ كل منها جميل ومن لم يزد في هذا التعريف أو قديم جعل الوصف بالأوصاف الجليلة حمدا مجازيا وقولنا على وجه التعظيم فصل ثالث خرج به ما لم يكن منه على وجه التعظيم بل على غيره كالتهكم نحو ذق إنك أنت العزيز الكريم ومما يحسن إيراده هنا تعريف الشكر وهو لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لإنعامه ففعل أي حدث جنس يشمل ما كان باللسان وبغيره من الجنان وسائر الأركان وقولنا ينبئ عن تعظيم المنعم فصل خرج به ما لم ينبئ عن تعظيمه وقولنا لإنعامه فصل ثان خرج به المنبئ عن تعظيم المنعم لا في مقابلة الإنعام فإنه حمد لا شكر وإذا علمت هذا عرفت أن مورد الحمد اللسان لا غير ومتعلقه الإنعام وغيره ومورد الشكر اللسان وغيره ومتعلقه الإنعام لا غير فالحمد أعم من الشكر باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والشكر بالعكس فبينهما عموم وخصوص من وجه ويصدقان على الوصف باللسان في مقابلة الإحسان وينفرد الحمد بصدقه على الوصف بالجميل من الفضائل وينفرد الشكر بصدقه على ما ليس باللسان من الفعل المنبئ عن التعظيم في مقابلة الإنعام وأل في الحمد لتعريف الحقيقة وقد عرض لها الاستغراق بمعونة المقام واللام فيه للاختصاص واسم الجلالة علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد والدلالة على

وجه

المعنى

المعنى الأخير اختص من بين سائر الأسماء بمقام الحمد حتى لم يقل مثلا الحمد للرحمن فأبوهم استحقاق الحمد بخصوص وصف دون غيره ومعنى جملة الحمد الخبر عن الله باستحقاقه الاتصاف بكل جميل إذ لا جميل في الحقيقة غير أوصافه تعالى ومعنى أي جملة الحمد حمد معنى وزادت بمزية التصريح بلفظ الحمد مع التعظيم في أوصافه تعالى وإفادة اختصاصها به ولعلها لاشتمالها على هذه الفوائد كان نفتتح مفتتح القرآن واختير الشارع صلوات الله عليه وسلامه أنها تملأ الميزان وقد افتتح الناظم رحمه الله كتابه بالحمد لما اشتمل عليه من الفوائد المذكورة واقتداء بالقرآن العزيز وعملا بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع قال السيوطي أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة وأخرجه أبو داود عن أبي هريرة بلفظ كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة والعظيم صفة مشبهة جرت في اللفظ على غير من هي له وأضيفت لفاعلها في المعنى والتقدير الذي عظمت منته والمنن جمع منة وهي العطية ومرسل صفة فعل له ورد بها السمع بمعنى باعث عطف على العظيم وقد أضيفت إلى الرسل بتسكين السين عن ضم تخفيفا وهو جمع رسول بمعنى مرسل والرسول إنسان أوحي إليه وأمر بالتبليغ والنبي كذلك بحذف القيد الأخير فهو أعم والباء بالهدى للمصاحبة وهو فعل بمعنى فاعل ل وصف في الأصل لسنى الأهل أي أضيف إليه والسنن بتثليث السين مع فتح النون وضمها بمعنى محجة واللام ليبلغوا متعلق بمرسل والمضارع بعدها منصوب بتقدير أن وهو بصيغة الرباعي أي ليوصلوا والدعوة دعاء الخلق إلى ما أمروا به من التوحيد وغيره ولا معارضة بين ذلك وبين ما تضمنته الآية رسلا مبشرين ومنذرين من كون الإرسال علة في قطع الحجة لتوقف قطعها على الإبلاغ واللام للعباد متعلقة بيبلغوا وهو جمع عبد ومعناه الإنسان مطلقا ولا يبعد حمله هنا على ما يعم الإنس والجن ويوضحوا بمعنى يبينوا عطف على يبلغوا ومهايع الإرشاد طرقه وهو بالياء جمع مهيع وصف في الأصل للطريق يقال طريق مهيع أي بين واضح وفي بعض نسخ النظم مناهج الإرشاد كما في الأصل وزنا ومعنى والإرشاد مصدر أرشد بمعنى هدى وختم بمعنى أكمل وطبع عطف على مرسل والدعوة تقدم تفسيرها والنبوة هنا بالهمزة من النبأ بمعنى

Copyright © King Saud University